

السفارات المتبادلة

في عصر صلاح الدين الأيوبي

(٥٦٩-٥٨٩هـ / ١١٧٩-١١٩٣م)



د/ آسيا سليمان النقلي (*)

من المعروف أن الاتصالات والمراسلات في العصور الوسطى كانت تعتمد في المقام الأول على الرُّسل والسفارات، وهو ما يمثل في عصرنا الحالي نظام "المبعوث الخاص" أو "الممثل الشخصي" أو "الوفود".

ونتيجة لأن عصر صلاح الدين الأيوبي كان جزءاً من عصر الحروب الصليبية، فقد تنوعت هذه السفارات تبعاً لظروف ومقتضيات الأحوال السياسية والاجتماعية والاقتصادية للدولة الأيوبية في عصر صلاح الدين الأيوبي مؤسس هذه الدولة. لذلك كانت هناك السفارات ذات الطابع العسكري التي تحمل التهديد، أو تطلب عقد هدنة أو صلح، أو مساعدة ضد خصم أو تأييداً. وبعضها كانت تخفي رغبة في التجسس. وكانت هناك السفارات ذات الطابع السلمي التي تحمل التهنة أو التعزية أو الشكر، أو طلب المصاهرة، أو إعلان الولاء والتبعية وعدم العصيان، أو طلب الأطباء والأدوية، وأحياناً طلب بعض الأطعمة مثل الفاكهة والتلج، أو إبلاغ الأخبار.

ومع ذلك فلا غرابة أن نجد أخبار السفارات ذات الطابع العسكري والسياسي تحتل العديد من صفحات كتب التاريخ التي عاصرت تلك الفترة التاريخية المهمة. بينما اختفت السفارات ذات الطابع الاقتصادي التي تطلب عقد

(*) كلية التربية - قسم التاريخ والحضارة - الرياض - المملكة العربية السعودية.

معاهدات تجارية، أو تسهيلات لمرور التجارة والتجار عبر أراضي بعض الدول وفي الوقت نفسه شهدت تلك الفترة العديد من السفارات ذات الطابع الاجتماعي السلمي.

وقبل أن نبحث أنواع هذه السفارات، سوف نلقى الضوء على السفارات بوجه عام، وللقائمين عليها، والمهام التي كانت توكل إليهم، وكيفية انتقائهم لهذه المهام.

أعضاء السفارات ومهامهم

كان القائم بعمل السفارة يطلق عليه الرسول، والقاصد، والسفير. والرسول سمي بذلك لأنه كان ذا رسالة، وقد أطلق عليه في بعض المصادر التاريخية "القاصد"، وهو اسم فاعل مشتق من الفعل قصد، بمعنى: الآتي^١. وأحياناً كان يطلق عليه لفظ "السفير"^٢.

الشروط الواجب توافرها في الرُّسل:

وهناك شروط وصفات كان لابد من توافرها في الرسول الذي يقوم بمهام السفارة. فهو يمثل مرسله، ويتكلم باسمه، ويحمل رسالته إلى الملوك

١. الزبيدي: تاج للعروم، مواد: سفر، رسل، قصد.

٢. السفير هو الرسول، وكان يطلق غالباً على المدنيين خصوصاً الذين يتولون مهمة السفارة عن الملوك والدول. وهو من الألقاب الخاصة بالدولار في العصر المملوكي. وقد ورد في بعض المصادر الشامية، وكتب به لبعض التجار الأجانب ويسمون الخواجية، وذلك لسفارتهم بين الملوك وتردهم في الممالك لجلب الممالك والجواري ونحو ذلك.

انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٦، ص ١٥، ٥٣.

البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، ص ١٨١، ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٣ م.

والسلطين والخلفاء، لذلك كان يتم اختياره بدقة شديدة حتى يكون خالياً من أي نقص أو عيب يؤثر عليه في أداء مهمته.

وكان من أهم الشروط الواجب توافرها في الرسول، أن يكون من "أهل الشرف والبيوتات"^١. وإلى جانب ذلك كان يراعى فيه الوسامة في الصورة وجمال الهيئة، والصوت الجهوري، وحدة البصر، وأن يكون حسن الوجه، وليس دميماً.^٢

وكان يراعى عند خروج الرسول من بلاده متجهاً إلى البلاد المرسل إليها لتأدية الرسالة المكلف بها، أن يتجمل على أكمل وجه، بحيث يرى الناظر إليه الأبهة العظيمة والهيئة الجليلة من أول وهلة. فالرسول عندما يصل إلى البلاد المرسل إليها تخرج الجماهير للفرجة عليه. فينظرون زيه الذي يرتديه، وهيئته التي هو عليها، ويستطيعون أن يحكموا عليه من مظهره ويتوقعون ما هو عليه من الكفاية وسداد الرأي.^٣

وقد قيل: إن رسول المرء دليل عقله، فليكن فيه من حسن صورته اسمه وشكله، حتى يكون صورة مشرقة له تمثل أمام المرسل إليه. وقد قال بعض الحكماء: "إذا غاب عنكم حال الرجل ولم تعلموا مقدار عقله، فانظروا إلى كتابه أو رسوله فهما شاهدان لا يكذبان".^٤

١. ابن الفراء: رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة، القاهرة ١٩٤٧م، ص ١٠-١١.
٢. الخالدي: المقصد الرفيع المنشأ الهادي إلى صناعة الإنشاء، ورقة ١٠١ أ، مخطوط مصور بجامعة القاهرة، رقم ٢٤٠٤٥، ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١١، ص ٢٠-٢١.
٣. ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١١.
٤. ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، ص ٨٣.

وللى جانب ذلك كان من الضروري أن يتمتع الرسول بصفات عقلية وأخلاقية هامة، منها أن يكون ذا عقل وافر، فقد قال بعض الحكماء: "العقل شرف الإنسان" كذلك لا بد أن يتمتع الرسول "بالذكاء والحزم، وأن يكون ذا لسان سليط، وقلب حديد، فطناً للطائف التدبير".^١

ومن الأمور التي يجب أن يكون عليها الرسول أيضاً، أن يكون صاحب نكاه وحيلة ودهاء، حتى يستطيع أن "يحيل الباطل في شخص الحق، والحق في شخص الباطل، محتالاً في محاورته ومكايدته".^٢

كذلك يجب أن يكون على قدر كاف من الجرأة والشجاعة، مع الحلم والتواضع والهدوء والتأني والصبر، حتى يعرف متى يشتد ومتى يلين، وبذلك يحقق النجاح في مهمته. أما إذا كان سريع الاستئثار والغضب فإنه يخسر الموقف ولن يوفق في تبليغ رسالة مؤسسه.^٣

بالإضافة إلى ذلك يجب أن يكون الرسول نزيهاً شريفاً لا تغريه رشوة أو هدايا. لذلك وجب على الملك أو السلطان أن يراعي رسله ويزيل كل الصعاب والمشاكل التي تواجههم في جميع نواحي الحياة خاصة المادية والمعنوية حتى لا تضعف نفوسهم أمام أية محاولة لإغرائهم بالأموال من جانب الطرف الآخر.

١. السيوطي: كتاب تحفة المجالس ونزهة المجالس، ص ٤-٥.

٢. ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١٠.

٣. ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١٠-١١.

٤. ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١٥، الأنصاري: تفريج الكرب في تدبير الحروب، نشر وتحقيق جورج سكانلون، القاهرة ١٩٦١م، ص ٢١-٢٤.

وكما ذكر ابن طباطبا: "وكم من رسول برقت له بارقة طمع من جهة من أرسل إليه، فحفظ جانبه، وترك جانب مرسله".^١

كما يجب أن يكون الرسول أميناً في تبليغ الرسالة التي يحملها، ويتباعد عن الكذب والخيانة، فهما يؤديان إلى نتائج خطيرة، فكثيراً ما نقضت عهود وقامت حروب بسبب خيانة الرسل والأكاذيب التي اختلقوها أثناء أدائهم للرسالة التي كلفوا بحملها.^٢

كذلك يجب أن يكون الرسول متمسكاً بتعاليم دينه حتى ينال احترام المرسل إليهم، وحتى لا يفعل أموراً تسيئ إليه، وتسيئ إلى من أرسل إليه.^٣ ومن ذلك أنه يجب أن يتباعد تماماً عن شرب الخمر في أرض المرسل إليهم، لأن الخمر تذهب العقل وتقضح شاربها، وتجعله يقشئ أسراراً كان عليه كتمانها تماماً عن أسماع الآخرين.^٤

وأما عن الشروط الثقافية التي يجب توافرها في الرسول فهي على درجة بالغة من الأهمية؛ فمن الضروري جداً أن يكون الرسول على درجة عالية من الثقافة والعلم، وأن يكون طلق اللسان مع الفصاحة. ولو كان على دراية بلغة

١. ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٨٣، راجع أيضاً: ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١١.

٢. الأنصاري: تفريغ الكروب، ص ٢١-٤٢، الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، تحقيق أحمد زكي باشا، القاهرة ١٩١٤م، ص ١٢٢.

٣. الحسن بن عبدالله: آثار الأول في ترتيب الدول، ص ١٠٨-١١٠، القاهرة ١٢٩٥هـ.

٤. الخالدي: المقصد الرفيع، ورقة ١٠١ أ

المرسل إليهم يكون هذا أفضل كثيراً، ولكن لا يشترط أن يكون كل رسول على معرفة بلغة البلد التي سيتوجه إليها، ففي كل بلاط الملوك يوجد المترجمون الذين يتولون عملية الترجمة بين الرسول وبين المرسل إليه.

أما معرفة الرسول بلغة المرسل إليهم فهي تُقَيِّده في معرفة أشياء كثيرة ربما لا يعرفها في البلاط الملكي أثناء تأديته للرسالة. وفي أحيان أخرى تُقَيِّده إذا أُنْزِلَ له صاحب الرسالة أن يتحدث أثناء تأديته للرسالة بلغة المرسل إليه. أيضاً معرفته بلغة المرسل إليهم تُقَيِّده جداً لأن المهمة التي يقوم بها هذا للرسول تعتمد اعتماداً كبيراً على الحوار والمناقشة والإقناع، فالرسول لسان مُرسله وترجمانه، لذلك لا بد أن تكون ردوده وألفاظه على جانب كبير من اللباقة والفتنة، وأن يكون على علم كاف بجميع الأسئلة والكلمات التي توجه إليه من قبل المرسل إليه.^١

كذلك يجب على الرسول أن يكون على دراية كبيرة بأحوال البلد الذي سيتوجه إليه في سفارته، وأن يكون خبيراً ذا تجارب عديدة، عارفاً للسنن والأحكام والسُّنن.^٢

ونظراً لخطورة مهمة الرسول، كان على الملوك أن يمتحنوا رسلهم قبل أن يوجههم لأداء هذه المهمة، وذلك حتى يكونوا على بينة من أمرهم، ويطمئنوا إلى حسن أدائهم.

١. ابن الفراء: رسل الملوك، ص ٢٢؛ القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٦، ص ٣٥٩ - ٣٦٠؛

السيوطي: تحفة المجالس، ص ٧-٩.

٢. ابن الفراء: رسل الملوك، ص ١٠-١١؛ الخالدي: المقصد الرفيع، ورقة ١١٠١؛

الأصصاري: تفريج الكروب، ص ٢١-٢٤.

لذلك كان ملوك الفرس يقومون باختبار رسلهم، فكانوا يكلفون رسلهم في بعض المهام إلى بعض خواص الملك، ويدسون عليهم الجواسيس دون أن يشعروا بهم. وبعد أن يؤدي كل منهم مهمته، يقوم الملك بسؤال الجاسوس المكلف عما فعله هذا الرسول، فإذا اتفق كلام الجاسوس مع كلام الرسول وظهر للملك أن الرسول صادق وأمين في مهمته، صار عنده في منزلة عظيمة، وبذلك يختاره لأن يكون رسولا له إلى الملوك.^١

المهام المكلف بها الرسول:

إن المهمة الرئيسية التي يكلف بها الرسول هي حمل رسالة مكتوبة إلى السلطان أو الملك المرسل إليه. وإلى جانب ذلك فإنه في بعض الأحيان يقوم بتبليغ رسالة شفوية للمرسل إليه غير مكتوبة في الرسالة، ثم يعود إلى مرسله بجواب لتلك الرسالة التي حملها، وبيعض الهدايا، وذلك بعد الانتهاء من مهمته. وينصح ابن الفراء الرسول بأن يستمع جيداً لرسالة سلطانه التي سيحملها معه، ثم يعرضها عليه، فإن أقر ما بها، يطلب منه الرسول أن يوقع عليها بخطه: " هذه رسالتي " ^٢. وعند وصول الرسول إلى المرسل إليه يقوم بعرض تلك الرسالة عليه، ثم يستمع إلى جوابه وردّه عليها، ثم يقوم الرسول بكتابة ذلك للرد ويثبتته مع رسالة مرسله، ثم يعرض ذلك مرة ثانية على المرسل إليه، فإذا وافق على

١. الجاحظ: التاج في أخلاق الملوك، ص ١٢٢، الأنصاري: تفرج الكروب، ص ٢٤-٢٥، الغزالي: التبر المسبوك في نصيحة الملوك، ورقة ٦٤، مخطوط بجامعة القاهرة، رقم ٢٦٣٦١.

٢. ابن الفراء: رسل الملوك، ص ٩.

ما كتبه الرسول يطلب منه اعتماده، وذلك بأن يوقع بخطه: " هكذا أدى إليّ الرسالة وهذا جوابي عنها " ^١.

ويحرص ابن الفراء على تذكير الرُّسل بهذه النصائح، خوفاً من أن يُنكر الملوك بعض ما جاء في رسائلهم من كلمات أو عبارات، فتقع مسئولية ذلك على الرسول، وفي هذه الحالة تكون العواقب جسيمة. ^٢

وإلى جانب الرسالة المكتوبة قد يكلف الملك أو السلطان رسوله بمشاهدة يبلغها إلى المرسل إليه، وفي هذه الحالة فإن الملك يثبت في رسالته حتى يُنكر الرسول بأن عليه أداء هذه المشاهدة، وفي نفس الوقت ليعلم المرسل إليه أن الرسول الوافد عليه يحمل له مشاهدة. ^٣

كذلك كان الرسول في أحيان كثيرة يُقوّض في عقد الاتفاقيات والمعاهدات باسم مرسله بصفته المتحدث الشخصي له، وفي هذه الحالة يقوم الرسول بالتوقيع عليها إقراراً منه بالالتزام التام من جهة مرسله بتنفيذ كل ما ورد فيها تجاه الطرف الآخر، ثم يقوم الرسول بحملها إلى مرسله ليعتمدها بتوقيعه.

ومن هذا المنطلق نجد أنه لا بد أن يتمتع الرسول بالحريّة والسلطات الكافية التي تتيح له عمل ما هو صالح لبلاده من الاتفاقيات أو المعاهدات، وذلك يتطلب أن تكون الثقة متبادلة بين الرسول ومرسله، حتى يتم الرسول مهمته بنجاح. ومن الأمور الهامة التي يجب على الرسول مراعاتها أثناء تأديته مهمته؛

١. ابن الفراء: رسل الملوك، ص ٩.

٢. ابن الفراء: رسل الملوك ص ٩.

٣. الحسن بن عبد الله: آثار الأول، ص ١٠٨، ١١٠؛ زيترشتين، تاريخ سلاطين المماليك،

ليند ١٩١٩م، ص ٩٣-٩٥.

الحرص الشديد على السرية، وذلك للدواعي السياسية والحربية التي يخشى أن نبوع أمرها قد يضر بمصالح مرسله والمرسل إليه معاً.

وفي هذا الأمر ذكر ابن طباطبا: "يجب على الملك الفاضل إمعان النظر في أمر أسرارهِ، وصونها، وتحصينها، وحراستها، من الإفشاء والنبوع".^١ لذلك يجب على السلطان أو الملك أن يؤمن مهمة رسوله، وذلك بأن يوفر له كل وسائل الحماية والأمان حتى لا يتعرض لأي مخاطر قد تؤدي إلى كشف أسرار دولته، خاصة في كل حالة الحرب. لذا أيضاً كان يُشدد على الرسول أن تتم كل خطواته في سرية حتى تتجح مهمته.

أيضاً تذكر المصادر أنه من الضروري إخفاء ما في المراسلات والأوراق المكتوبة من أسرار، وذلك خوفاً من وقوعها في أيدي الأعداء أو من له مصلحة ضد مصالح البلدين: المرسل والمرسل إليه.

لذلك ذكرت المصادر كيفية إخفاء ما في المكاتبات من أسرار، فأوضح القلقشندي في كتابه "صبح الأعشى" كيفية إخفاء الكتابة وقال: "وذلك بأن يكتب بشيء لا يظهر في الحال، فإذا وصل إلى المكتوب إليه فعل فيه فعلاً يكون مقرراً بين المتكاتبين من إلقاء شيء على الكتابة، أو مسحه بشيء، أو عرضه على النار ونحو ذلك".

وقد ذكر عدة طرق لذلك؛ "منها: أن يكتب في الورق بلبين حبيب قد خلط به نواشير، فإنه لا ترى فيه صورة الكتابة، فإذا قُرب من النار ظهرت الكتابة. ومنها: "أن يكتب في الورق أيضاً بماء البصل المعتصر منه، فلا ترى الكتابة، فإذا قُرب من النار أيضاً ظهرت الكتابة".

١. ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية، ص ٧٢.

ومنها: " أنه يكتب فيما أراد من ورق أو غيره بماء قد خلط فيه زاج، فلا تظهر للكتابة، فإذا مسح بماء قد خلط فيه العفص المدقوق ظهرت الكتابة".
ومنها: " أنه يكتب في الورق غير المنشئ بالشبّ المحلول بماء المطر؛ ثم يلقيه في الماء أو يمسحه به، فإنه إذا جف ظهرت فيه الكتابة".
ومنها: " أن يكتب بمرارة السلحفاة، فإن الكتابة بها ترى في الليل ولا ترى في النهار".

ومنها: " أن تأخذ الليمون الأسود وعروق الحنظل المقلوة بزيت الزيتون جزأين متساويين وتسحقهما ناعماً، ثم تضيف إليهما دهن صفار البيض وتكتب على جسد من شئت، فإنه ينبت الشعر في مكان الكتابة، وهو من الأسرار العجيبة، فإذا أريد إرسال شخص بكتاب إلى مكان بعيد، فُعل به ذلك، فإنه إذا نبت الشعر قرئت الكتابة".^١

أما ما يتعلق بالخط المكتوب به الرسائل، وأيضاً لضمان السرية وحتى لا يعرفه أحد غير المرسل والمرسل إليه، فإن القلقشندي ينصح أن تكون الكتابة بقلم يكون متفقاً عليه بين الطرفين، وذكر أن هذا يسمى "التعمية"، وقال إن أهل زمانه — أي في القرن التاسع الهجري/ الخامس عشر الميلادي — عبروا عنه " بحل المترجم، فإن الترجمة عبارة عن كشف المعنى".^٢

وقد ذكر أنواعاً عديدة ومتنوعة لهذه الخطوط^٣، وهذه الطريقة في الكتابة هي ما يطلق عليه في زماننا الحالي بـ " الشفرة".

١. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٩، ص ٢٢٩ - ٢٣٠.

٢. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٩، ص ٢٣٠.

٣. القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٩، ص ٢٣٠ - ٢٤٨.

كذلك من طرق الإخفاء والسرية في كتابة الرسائل أن يُكتب^١ بالرموز والإشارات التي لا تعلق لها بالخط والكتابة، وهي التي يُعبر عنها أهل المعاني والبيان بالاستعارة بالكناية — بالنون بعد الكاف — وقد يعبر عنها بالوحي والإشارة^٢.^١ وقد ذكر القلقشندي أن هذه الأمور تحتاج إلى قوة ذكاء، واحتدام قريحة من الذي يقع منه الرمز، وإلى قوة حدس من الذي يحاول إدراك القصد من تلك المعامى.^٢

أما عن المدة اللازمة لأداء الرسول لمهمته في تبليغ الرسالة فلم تكن محددة، وذلك نظراً لاختلاف ظروف الرحلة التي يقطعها الرسول للوصول إلى بلد المرسل إليه، لذلك لم يكن هناك تحديد للوقت اللازم للسفارة، ولكن كان يُنبه على الرسول بالعودة مباشرة بعد أداء مهمته.

أما عن نفقات رحلة الرسول لأداء مهمته، فكان السلطان أو الملك يعطي للرسول ما يكفي من الأموال لنفقات الرحلة، وكذلك يكتب إلى نوابه بإكرام رسوله خلال مروره ببلادهم. وعند وصوله إلى البلد المرسل إليه فإنه ينزل في ضيافة حاكمه، وعند عودته إلى مرسله كان يعود بالهدايا والإنعامات التي أهديت إليه من البلد التي سافر إليها في مهمته.

١. صبح الأعشى، ج ٩، ص ٢٤٩.

٢. صبح الأعشى، ج ٩، ص ٢٥١.

السفارات المتبادلة في عصر صلاح الدين الأيوبي [٥٦٩-٥٨٩هـ /

١١٧٩-١١٩٣م]

وبعد استعراضنا للسفارات بوجه عام والقائمين عليها والمهام التي كانت توكل إليهم، وكيفية انتقائهم لهذه المهام، يجدر بنا الآن أن نلقي الضوء على السفارات التي شهدها عصر الناصر صلاح الدين مؤسس الدولة الأيوبية. وكما سبق أن ذكرنا كانت فترة حكم صلاح الدين الأيوبي جزءاً من عصر الحروب الصليبية. لذلك لا غرابة أن نجد السفارات ذات الطابع السياسي والعسكري تحتل العديد من صفحات المصادر التاريخية المعاصرة لتلك الفترة التاريخية الهامة من حياة البلاد الإسلامية العربية.

ومن بحثنا في المصادر وجدنا أن السفارات العسكرية كانت متنوعة، فمنها: التهديد، طلب الاستسلام للعدو، طلب النجدة العاجلة، طلب المساعدة، طلب التأييد، طلب عقد هدنة، طلب الصلح. ومن بين تلك السفارات وَجِئَتْ بعض السفارات التي كانت تهدف إلى التجسس بالإضافة إلى الأغراض السابقة. لقد بدأ صلاح الدين في إرسال الرسائل للسفارات منذ أن باشر سلطانه الفعلي في مصر، بوصفه وزيراً شرعياً للخليفة الفاطمي، ونائباً عن نور الدين محمود وقائداً لقواته في مصر.

وعقب سقوط الخلافة الفاطمية في مصر سنة ٥٦٧هـ / ١١٧١م^١ كان لزاماً على صلاح الدين أن يحدد موقفه من نور الدين محمود ويختار أحد

١. عن تفاصيل سقوط الخلافة الفاطمية في مصر، انظر: ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج

١٠، ص ٣٤؛ أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج ١ ق ٢، ص ٤٩٢-٤٩٣، ٥٠٦-

٥٠٧؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٨٤-٢٨٦.

أمرين: إما أن يظل على ولائه وتبعيته لنور الدين، وفي هذه الحالة من الممكن أن يفاجأ بقرار نقله من مصر في أية لحظة وإحلال غيره محله. وإما أن يخرج عن طاعة نور الدين ويستقل عنه، وفي هذه الحالة سيضطر بالضرورة للدفاع عن كيانه ضد الهجمات التي سيشنها نور الدين، فإذا استطاع صد هذه الهجمات سوف تكون مصر له.

لذلك نجد أنه في تلك السنة ٥٦٧هـ كتب نور الدين إلى صلاح الدين يأمره أن يتوجه بالعساكر المصرية ليقابله عند الكرك؛ لأنه كان عازماً على محاصرتها ومقاتلة الفرنج الذين بها. فاستجاب صلاح الدين وأسرع إلى هناك، وخرج نور الدين من دمشق، فأوجس صلاح الدين خيفةً منه أن يعزله عن مصر بعد ما حصل له من التمكين فيها، ويوليها غيره، فرجع عائداً بعد أن كاد يصل إلى الكرك.

وحتى يداري صلاح الدين أموره ويزيل الشك من نفس نور الدين بعد تصرفه هذا، أرسل رسولاً إلى نور الدين، وأرسل معه هدايا كثيرة وتحفاً عظيمة، وكتب إليه يعتذر بأن والده مريض، وأنه يخشى من اختلال الأمور في مصر إذا تركها واشتغل عنها. وكان رسول صلاح الدين إلى نور الدين، الفقيه عيسى الهكاري، وكان له قدرة على التصرف، فلاطف نور الدين، وخاطبه بالحسنى، حتى قال له نور الدين: "حفظُ مصر عندنا أهم من غيرها". ولكن نور الدين فطن إلى السبب الذي من أجله رجع صلاح الدين، وعز ذلك عليه في باطنه.^١ واشتد غضب نور الدين على صلاح الدين، وكان قد عزم على الدخول

١. ابن الأثير: للتاريخ الباهر، ص ١٥٨ - ١٥٩؛ أبو شامة: الروضتين، ج ١ ق ٢، ص ٥٢٨؛ العيني: عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي)، ج ١، ص ٩٧-٩٨.

إلى الديار المصرية وانتزاعها من يد صلاح الدين، وتولية غيره فيها، ولكنه عدل عن ذلك بعد السفارة الناجحة للفقير عيسى الهكاري.

ولكي يسترضى صلاح الدين نور الدين محمود، ويثبت له ولاءه، خرج بنفسه في سنة ٥٦٨هـ/١١٧٢م من مصر ومعه هدية لنور الدين، فيها فيل وحمار عتابي^١، وبعض الذخائر النفيسة التي انتخبها من خزائن القصر الفاطمي بعد سقوط الخليفة العاضد الفاطمي، وتوجه صلاح الدين بهذه الهدية إلى حلب وسلمها إلى نور الدين^٢.

وفي السنة نفسها ٥٦٨هـ أرسل صلاح الدين رسالة مع رسول إلى نور الدين محمود بالموصل، يخبره فيها أنه خرج بعساكره ومضى إلى الشام، وحاصر الكرك والشوبك لتأديب الغربان الذين كانوا بأرض الكرك، فقد كانوا ينقلون أخبار المسلمين إلى الفرنج، وكانوا يساعدونهم أثناء إغاراتهم على بلاد المسلمين ويدلونهم على نقاط الضعف التي يدخلون منها إلى تلك البلاد، فحاربهم صلاح الدين، وقتل بعضهم، وأجلى من بقى منهم عن أرض الكرك، وغنم كل ما تركوه^٣. ويذكر كل من ابن الأثير وابن شداد أن هذه "أول غزوة غزاها

١. الحمار العتابي واحدة من حمر الوحش المخطط، والعتابي نسبة إلى العتابين، وهي إحدى محال بغداد واشتهرت بإنتاج نوع من النسيج المخطط، ومن ثم وصف هذا النوع من الحمير بالعتابي تشبيهاً له بهذا النسيج. انظر:

Dozy: supp. Dict. Ar. Vol. 1, p. 321.

٢. للبنداري: سنا البرق الشامي، ص ٦٥؛ الروضتين، ج ١ ق ٢، ص ٥٢٦؛ العيني: عقد

الجمان، ج ١، ص ١١٠-١١١.

٣. سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ١٨٣.

صلاح الدين من الديار المصرية^١. وفي هذه الرسالة التي أرسلها صلاح الدين إلى نور الدين ذكر له فيها: "أنه لم يبق منهم أحد" فإنهم كانوا آفة على المسلمين، ودليلاً للكفار على الإسلام^٢.

وفي نفس العام ٥٦٨هـ، وصل إلى صلاح الدين رسول من حاكم أسوان الأمير كنز الدولة^٣، يطلب النجدة بسبب تجمع السودان والعبيد من بلاد النوبة^٤ وخروجهم في أعداد هائلة قاصدين الهجوم على البلاد المصرية، طامعين في ملكها، وأخذوا يزحفون إلى بلاد الصعيد في جنوب مصر، وصمموا على قصد أسوان وحصارها ونهب قراها^٥.

فلما طلب الأمير كنز الدولة النجدة من صلاح الدين، أرسل له صلاح الدين جيشاً تحت قيادة الأمير الشجاع البعلبكي، فلما وصلوا إلى أسوان وجدوا العبيد قد انسحبوا منها بعد أن أخبروا أرضها، فصمم الأمير الشجاع البعلبكي وكنز الدولة على ملاحقتهم وتأديبهم، فجرت حرب عظيمة بينهم، وقتل فيها من

١. ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٤٩؛ ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ٤٥.

٢. كنز الدولة: لقب منح لأول مرة أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي لأمير لأسوان أبي المكارم هبة الله بعد انتصاره على ثورة أبي ركة، وأصبح هذا اللقب وراثياً في أسرة أبي المكارم بعد اندماجها مع النوبيين. انظر: ابن واصل: مفرج الكروب، ج ٢، ص ١٦، حاشية ٢.

٣. بلاد النوبة: بلاد واسعة عريضة في جنوبي مصر بعد أسوان، واسم مدينة النوبة دمقلة ودمقلة ودمقلة، وهي منزل الملك، على ساحل النيل. وكان أهلها نصارى، أهل شدة في العيش. انظر: معجم البلدان، ج ٤، ص ٨٢٠-٨٢١؛ ج ٢، ص ٥٩٩، ٦١١؛ ابن عبد الحق: مرصد الاطلاع، ج ٣، ص ١٣٩٤.

٤. انظر: الروضتين، ج ١، ق ٢، ص ٥٣١-٥٣٢؛ العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ١١٢-١٣٣.

الفريقين أعداد كبيرة، ثم عاد الأمير الشجاع إلى القاهرة وأخبر السلطان صلاح الدين - وهو مرسله - بما فعله العبيد في بلاد الصعيد من تخريب ونهب وما أن علم صلاح الدين بذلك حتى أعطى أوامره لأخيه شمس الدولة تورانشاه بأن يتوجه إلى هناك في جيش كبير، وسافر تورانشاه بالجيش ولكنه وجد العبيد قد انسحبوا ودخلوا بلاد النوبة، فسار قاصداً تلك البلاد، ونزل على قلعة إيريم^١، وحاصرها وافتتحها بعد ثلاثة أيام، وغنم جميع ما فيها، وهرب أصحابها. وأرسل شمس الدولة إلى صلاح الدين يعلمه بما حققه من نجاح، ثم رجع إلى أسوان ثم إلى قوص^٢، وأقطع قلعة إيريم لأمير كردى من أعوانه، وظل هذا الأمير والجماعة التابعة له يشنون الغارات على بلاد النوبة لمدة سنتين. فلما مات هذا الأمير تفرقت جماعته وأخلوا مواقعهم في قلعة إيريم، فعاد النوبيون إليها وملكوها.

ثم أرسل ملك النوبة رسولاً إلى شمس الدولة - وهو مقيم بقوص - ومعه رسالة يطلب منها الصلح مع صلاح الدين، وأرسل مع الرسول هدية تتكون من عبد وجارية. فكتب شمس الدولة جواب الرسالة وأعطاه للرسول، وأعطاه زوجي نشاب^٣ رداً على الهدية، وقال: "مالك عندي جواب إلا هذا". يعني الحرب ولن يقبل بالصلح معه.

١. قلعة إيريم بلدة قديمة تقع على الضفة الشرقية للنيل في منطقة النوبة المصرية التي عُرفت في العصر الروماني باسم Nabatia، وفي المراجع العربية القديمة باسم مريس. انظر: مصطفى مسعد: الإسلام والنوبة في العصور الوسطى، ص ٢٧، ص ٩٣، ص ٩٦.
٢. قوص: من المدن القديمة بصعيد مصر من الجهة الشرقية من النيل. انظر: محمد رمزي: القاموس الجغرافي للبلاد المصرية، ق ٢ ج ٤، ص ١٨٧-١٨٩.
٣. النشاب: هي النبل أو السهام، وواحدته نشابة. انظر: النواذر السلطانية، ص ٦٣، حاشية ١.

وأرسل مع الرسول رسولا من جهته يُعرف بمسعود الحلبي. وأوصى شمس الدولة رسوله أن يكشف له خبر البلاد التي سيزورها هناك في سفارته هذه - أي أن يتجسس له على خبايا هذه البلاد أثناء زيارته لها - حتى يتمكن شمس الدولة من دخولها اعتماداً على المعلومات التي سيبلغه إياها رسوله حين عودته من سفارته، وهذا سيسهل عليه الهجوم على تلك البلاد.^١

وفي سنة ٥٦٩هـ أرسل صلاح الدين أخاه شمس الدولة تورانشاه إلى اليمن للقضاء على الخارجي^٢ الذي استولى على اليمن وخطب لنفسه فيها، واستطاع شمس الدولة أن يقضى على هذا الخارجي، وفتح الله على يديه الكثير من بلاد اليمن. ولما دخل إلى مدينة زبيد أرسل إليه ملوك وأصحاب المناطق المجاورة يطلبون المصالحة معه على أداء المال إليه، ولكن شمس الدولة تتبع حصونهم وقلاعهم حتى سيطر عليها جميعاً. وأرسل بذلك إلى أخيه صلاح الدين يبشره بذلك.^٣ فأرسل صلاح الدين بدوره رسولا إلى نور الدين محمود يخبره

١. أبو شامة: الروضتين، ج ٢، ص ٥٣٢-٥٣٣، العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ١١٣.
٢. هذا الخارجي هو عبد النبي بن مهدي، كان أبوه المسمى بالمهدي قد فتح اليمن وقتل خلقاً كثيراً فيها، ونجح الأطفال، وشق بطون الحوامل، وتستر بالإسلام، أما ابنه عبد النبي فقد سار على نهج أبيه وسبى نساء اليمن واستعبدتهم، وفعل بالبلاد أفعالا شنيعة. وبلغ به طيشه أن بنى على قبر أبيه قبة عظيمة وصنع حيطانها بالذهب الأحمر والجواهر ظاهراً وباطناً، وجعل فيها قناديل الذهب والستور الحرير، ومنع أهل اليمن من زبيد إلى حضرموت أن يحجوا إلى الكعبة، وأمرهم أن يحجوا إلى قبر أبيه، وكانوا يحملون إليها الأموال كل سنة، ويطوفون حولها مثل الطواف حول الكعبة، وإلى غير ذلك من الأفعال الشاذة والغريبة.
- انظر: مرآة الزمان، ج ٨، ص ١٨٨-١٨٩، النوار السُلطانية، ص ٤٦، الروضتين، ج ٢، ص ٥٥٣، عقد الجمان، ج ١، ص ١٤٠-١٤١.
٣. العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ١٣٩.

بذلك الفتح الذي تم في بلاد اليمن، فقام نور الدين بإرسال مذهب الدين أبي الحسن علي بن عيسى النقاش رسولاً من جهته إلى الخليفة العباسي ببغداد يحمل له هذه البشارة.

وفي العام نفسه -٥٦٩هـ- أرسل نور الدين محمود رسولاً إلى صلاح الدين، وهو الموفق بن القيسراني، فاجتمع به وأبلغه رسالة نور الدين محمود، التي يطالبه فيها بحساب "جميع ما حصله وارتفع إليه من ارتفاع البلاد".^٢ وصعب ذلك الأمر على صلاح الدين، وأراد شق عصا الطاعة على نور الدين، ولكنه التزم الهدوء والسكينة، وأمر نوابه بعمل الحساب المطلوب وعرضه على الموفق بن القيسراني، كما عرض عليه الدفاتر الخاصة بإقطاعات الأجناد وجامكياتهم^٣ ونفقاتهم.

ثم قام السلطان صلاح الدين بإرسال الفقيه ضياء الدين عيسى الهكاري رسولاً من قبله إلى نور الدين محمود ليصحب الموفق بن القيسراني في عودته إلى نور الدين، وأرسل معه هدية ثمينة إلى نور الدين، ومعها عشرة صناديق مال لا يُعلم مقدارها.^٤

١. الارتفاع: هو ما يتحصل من الدواوين عامة. انظر: المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج ١، ص ٥٢.

٢. الروضتين في أخبار الدولتين، ج ١، ق ٢، ص ٥٥٨، مفرج الكروب، ج ١، ص ٢٥٧.

٣. الجامكية: تعني رواتب الجند بصفة عامة. انظر: القلقشندي: صبح الأعشى، ج ٣، ص ٤٥٧.

٤. عن تفاصيل ما تحتويه الهدية انظر: الروضتين، ج ١، ق ٢، ص ٥٥٨-٥٥٩، مفرج الكروب، ج ١، ص ٢٥٧، السلوك، ج ١، ص ٥٤-٥٥.

ولواقع أن هذه الهدية لم تصل إلى نور الدين محمود، فقبل وصول الرسولين إلى دمشق بلغهما خبر وفاة نور الدين. فلما علم صلاح الدين بذلك أرسل مَنْ رد الهدية^١.

ولما علم صلاح الدين بوفاة نور الدين، وتملك ولده الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن نور الدين دمشق بعده، أرسل صلاح الدين الرسائل إلى الملك الصالح يُعزيه في وفاة والده، ويهنئه بالملك، كما أرسل إليه دنانير مصرية عليها اسم الملك الصالح إسماعيل، ويُبلغه أن الخطبة والطاعة له كما كانت لأبيه نور الدين محمود^٢.

وفي سنة ٥٧١هـ / ١١٧٥م أرسل الفرنج رسولا إلى صلاح الدين وهو مقيم بمرج الصفر بدمشق يطلبون منه عقد هدنة، فوافق صلاح الدين على ذلك، ولكن بعد أن اشترط عليهم عدة شروط، فالتزم الفرنج بتلك الشروط^٣.

وفي العام نفسه - ٥٧١هـ - أرسل صاحب الموصل غازي بن مودود بن زنكي رسولا إلى صلاح الدين، وكان الرسول يحمل رسالتين، إحداها كتبها غازي إلى الحلبيين يلومهم فيها على الصلح الذي وقع بينهم وبين صلاح الدين،

١. العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ١٤٤.

٢. ابن الأثير: الكامل، ج ١٠، ص ٥٨، التاريخ الباهر، ص ١٦٢، سبط ابن الجوزي: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢٠٤، الروضتين، ج ٢، ص ٥٩٤-٥٩٥.

٣. العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ٢١٧، الروضتين، ج ٢، ص ٦٤٢، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣١١.

أما الرسالة الأخرى الموجهة إلى صلاح الدين كانت فكان غسازى يطلب فيها من صلاح الدين عهداً بالأمان للمواصل (أهل الموصل)، وفي نفس الوقت ليكشف ما بداخل صلاح الدين من جهته.

والواقع أن هذه السفارة وقع فيها خطأ قل أن يحدث في مثل هذه الأمور الهامة الخطيرة التي يكلف بها الرسول في سفارته، والتي يترتب عليها أمور جد خطيرة. والذي حدث في تلك السفارة أن رسول غازى صاحب الموصل أخطأ عن غير قصد، وسلم إلى صلاح الدين الرسالة الموجهة من مرسله غازى بن مودود إلى الحلبيين، فقرأ صلاح الدين الرسالة وعلم أن الرسول أخطأ في مهمته، ولكن صلاح الدين لم يقل له شيئاً، وأدرك الرسول بعد لحظات أنه أخطأ، فخرج من مجلس صلاح الدين لأنه علم أن ما حدث منه لا يمكن استراكه.^١

وترتب على ذلك أن صلاح الدين أرسل إلى أخيه العادل الأيوبي في مصر، يطلب منه سرعة تجهيز العساكر المصرية إلى الشام. وفي الوقت نفسه قام صاحب الموصل بجمع جبهة مضادة للوقوف إلى جانب الحلبيين ضد صلاح الدين، وبلغت عساكره نحو ٢٠ ألف مقاتل جمعها من الجزيرة وسنجار وكيفا وماردين.

وخرجت الجيوش المصرية في جحافل كبيرة متجهة إلى الشام، وزحف صلاح الدين نحو حلب بألف فارس، وقبل أن يصل إليها بعث الحلبيون إليه برسول من جهتهم، كانت مهمته تتحصر في غرضين اثنين، الأول: تخويف

١. الروضتين، ج ٢، ص ٦٤٧-٦٤٨، مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢١٠، البنداري: سنا البرق الشامي، ص ٩٠-٩١، القاهرة ١٩٧٩م.

صلاح الدين من بأس الحلبيين، والثاني: توجيه الأمر إلى صلاح الدين بالرجوع إلى مصر.

وقد حكى الرسول ما حدث في سفارته هذه إلى صلاح الدين، وقال: "فوافيته وهو في خيمة صغيرة، وهو على بساط لطيف، وتحت سجاده، وبين يديه مصحف، وهو مستقبل القبلة، وإلى جانبه زريته^١، وسيفه بين يديه، وقوسه وتركاشه^٢ معلق في عمود الخيمة".^٣

ثم استطرد الرسول قائلاً: "فلما رأيته وقع في خاطري أنه المنصور. لأنني فارقت سيف الدين غازي والأمراء وهم على طناقص الحرير، والخمور تروق، وليس في خيامهم خيمة إلا وفيها أنواع المحرمات".

وبعد أن أدى الرسول الرسالة إلى صلاح الدين، جاء وقت صلاة الظهر، فسمع صوت الأذان في كل مكان بمعسكر صلاح الدين، ورأى في كل خيمة من خيام المعسكر إماماً. فناداه صلاح الدين وقال له: "إلحق بأصحابك وقل لهم

١. للزردية: نوع من الدروع، وهو قميص من الزرد خال من الصفائح المعدنية، ويوجد منها الطويل الممتد إلى الأرض ويسمى "زرديات سابلة" أو "زرديات مسبلة" وهي تغطي ساقى الفارس. وبعضها قصير ولها ياقات عريضة تغطي الرقبة. انظر: ملير: الملابس المملوكية، ص ٦٦-٦٨.

٢. الترکش جمع تراکش، وهي الجعبة التي توضع فيها النشاب، وهو لفظ معرب عن الكلمة الفارسية تركش. انظر: عقد الجمان، ج ١، ص ٢١٩، حاشية ٩؛ Dozy: Supp.Dict.Ar

٣. انظر: النويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٧٨-٣٧٩، العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ٢١٩.

يستعدون للقائي، فإني عند طلوع الشمس نازل عليهم، ويحكم الله بيننا ﴿ وهو خير الحاكمين ﴾^١.

وخرج الرسول من عند صلاح الدين وسافر ليلاً إلى حلب فوصلها في الفجر. وقال الرسول: "فوافيتهم وقت الفجر وهم سكارى، فطلبت سيف الدين غازي، فقيل لي: هو نائم. وقال: فوالله ما انبسطت الشمس إلا وأعلام صلاح الدين قد أقبلت، والكوسات^٢ تخفق، وأصحابنا نيام"^٣. ووقع القتال بين الفريقين وكان النصر لصلاح الدين الأيوبي، وانهزم سيف الدين غازي والحلبيون^٤.

وفي سنة ٥٧٦هـ وصلت سفارة من نور الدين محمد بن قرا أرسلان صاحب حصن كيغا، إلى صلاح الدين الأيوبي، يطلب فيها النجدة من صلاح الدين ومساعدته لكف يد قليج أرسلان بن مسعود — ملك الروم — عنه. وسبب الخلاف بين صاحب حصن كيغا وملك الروم أن نور الدين محمد بن قرا أرسلان تزوج بابنة قليج أرسلان ملك الروم، وبعد أن تزوجها أحب مغنية،

١. سورة الأعراف: جزء من الآية (٨٧).

٢. الكوسات: هي صنوجات من نحاس شبة للترس الصغير، يُنق بأحدها على الآخر بإيقاع خاص، ويقال للذي يضرب بالصنوج النحاس بعضها على بعض: الكوسي. انظر: صبح الأعشى، ج ٤، ص ٩، ١٣.

٣. العيني: عقد الجمان: ج ١، ص ٢٢٠.

٤. لمزيد من التفاصيل عن المعركة ونتائجها انظر: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢١١ النويري: نهارية الأرب، ج ٢٨، ص ٣٧٩ - ٣٨٠؛ الروضتين، ج ١ ق ٢، ص ٦٥٠ - ٦٥٣ الكامل ج ١، ص ٧٤ - ٧٥؛ عقد الجمان، ج ١ ص ٢١٩ - ٢٢١.

فأهمل زوجته ابنة قليج أرسلان وتركها نسياً منسياً، فشكت إلى أبيها حالها، لذلك عزم والدها على قصد بلاد نور الدين محمد. لهذا أرسل الأخير إلى صلاح الدين يطلب النجدة. فأرسل صلاح الدين إلى قليج أرسلان يستعلم الأمر منه، فرد قليج أرسلان بأنه حين تزوج نور الدين محمد بابنته، دفع قليج أرسلان إليه بعدة حصون، وأنه لا بد أن يعيدها إليه — أي يعيدها إلى صاحب الروم^١.

وخرج صلاح الدين بعساكره قاصداً بلاد قليج أرسلان، وهي ملطية وسيواس وقونية وما بينها. فلما سمع قليج أرسلان بقرب صلاح الدين منه، أرسل إليه بعض أمرائه، وذكر له بعض الحديث الذي جرى منه. فقال صلاح الدين للرسول: "قل لصاحبك لئن لم يرجع عن بلاده، لأسيرن إلى ملطية، ولا أنزل عن فرسي إلا في البلد".^٢

وفي هذه السفارة يتضح لنا الدور الذي لعبه الرسول في تهيئة الأمور، وكيفية تصرفه في المواقف دون أن يكلفه مرسله بهذا التصرف. ولتوضيح ذلك نجد أن الرسول الذي أرسله قليج أرسلان إلى صلاح الدين عندما عاين حجم وعدد جيش صلاح الدين، وكان هذا الرسول "عاقلاً و أدبياً"^٣، قال لصلاح الدين: "أريد أقول للسلطان كلاماً لم يرسلني به أستاذي. فقال له: قل، فقال: تعطيني الأمان. فقال: قل وأنت آمن. فقال: يا مولانا أما هو قبيح بمثلك، وأنت أعظم السلاطين قدراً وأكبرهم شأنًا، أن يسمع الناس عنك أنك صالحت الفرنج، وتركت الغزو ومصالح المملكة، وأعرضت عن كل ما فيه صلاح لك ولرعيك

١ انظر تفاصيل ذلك في: الكامل، ج ١٠، ص ١٠١-١٠٢؛ الروضتين، ج ٢ ق ١، ص ٤٧؛ سنا البرق الشامي، ص ٣٤٥-٣٤٦؛ عقد الجمان، ج ١، ص ٢٩١-٢٩٢.

٢. عقد الجمان، ج ١، ص ٢٩٢.

٣. عقد الجمان، ج ١، ص ٢٩٢.

وللمسلمين عامة، وخسرت، أنت وعسكرك الأموال العظيمة؛ لأجل محبة مغنية؛ ما يكون عنك عند الله تعالى، ثم عند الخليفة وملوك الإسلام وكافة العالم؟ وهب أن أحدًا ما يواجهك بهذا، أما يعلمون أن الأمر كذا، ثم احسب أن قليج أرسلان مات، وهذه ابنته قد أرسلتني إليك تستجبرك وتسالك أن تتصفها من زوجها، فإن فعلت فهو الظن، وإن لم يكن أفحش بك أن تردّها؟ فقال صلاح الدين: الحق بيدك، وإن الأمر لكما تقول، ولكن هذا الرجل دخل عليّ واستجار بي، ويقبح بي تركه، ولكنني اجتمع به وأصلح الحال بينكم على ما تحبون، وأعينكم عليه". ووعده من نفسه بكل جميل.

ثم اجتمع الرسول بنور الدين محمد، وتحاورا سويًا، فاستقر الرأي على أنه يُخرج المغنية بعد سنة، وأنه إن لم يفعل فلن ينصره صلاح الدين، ويكون صلاح الدين وقليج أرسلان عليه^١. وهكذا أدت مهارة الرسول وكياسته ولباقته وذكاءه إلى تهدئة الأمور، وإلى وقف إراقة دماء المسلمين.

وفي سنة ٥٧٧هـ وصلت إلى الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب سفارة تطلب النجدة العسكرية منه، وكان صاحب هذه السفارة هو صاحب قلعة البيرة، ابن شهاب الدين الأرتقي، وقد أرسل هذه السفارة فور محاصرة صاحب^٢ ماردين لقلعة البيرة. فلما وصلت هذه

١. الكامل، ج ١٠، ص ١٠١-١٠٢؛ سنا البرق الشامي، ص ٣٤٥-٣٤٦؛ الروضتين، ج ٢ ق ١، ص ٤٧؛ عقد الجمان، ج ١، ص ٢٩١-٢٩٢.
٢. صاحب ماردين هو: قطب الدين إيلغازي بن أبي بن ثمرتاش بن إيلغازي بن أرتقي. انظر: الكامل، ج ١٠، ص ١٠٨.

السفارة إلى صلاح الدين، أرسل من جهته رسولا يشفع في صاحب البيرة أمام صاحب ماردين وصاحب الموصل.^١ واستجاب صاحب ماردين لرسول صلاح الدين ورحل عن البيرة، ونجحت مساعي السفارة.^٢ ومن السفارات التي سجلها التاريخ وكان لها غرابة السفارة الآتية ذكرها، حيث ظهر من خلالها تطور غريب في تصرفات السفير أو الرسول المنوط به القيام بهذه السفارة، وقد كان ذلك في سنة ٥٧٨هـ.

ففي هذه السنة اتفق كل من صاحب الموصل وصاحب خلاط على قتال الملك الناصر صلاح الدين. وسبب ذلك أن رسل عز الدين مسعود صاحب الموصل ترددت إلى شاه أرمن صاحب خلاط تستجده وتستصره على صلاح الدين. فأرسل صاحب خلاط إلى صلاح الدين عدة رسل في محاولة إقناعه بالكف عن الموصل وما يتعلق بعز الدين، ولكن صلاح الدين لم يجبه إلى ذلك. وأخيراً أرسل شاه أرمن إلى صلاح الدين رسولا، كان مملوكاً له، ويدعى سيف الدين بكتمر.^٣

فوصل هذا الرسول إلى صلاح الدين وهو يحاصر سنجار، فطلب منه أن يتركها ويرحل عنها، ولكن صلاح الدين ماطل في الإجابة رجاء أن يفتحها، فلما

١. صاحب الموصل هو: عز الدين مسعود بن مودود بن زنكي، المتوفي سنة ٥٨٩هـ / ١١٩٣م. انظر: التاريخ الباهر، ص ١٨١ - ١٨٩؛ ابن خلكان: وفیات الأعيان، ج ٥، ص ٢٠٣.

٢. الكامل، ج ١٠، ص ١٠٨؛ العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ٣١١ - ٣١٢.

٣. سيف الدين بكتمر هو الذي ملك خلاط بعد شاه أرمن. انظر: عقد الجمان، ج ١، ص ٣٢٢.

رأى بكثر ذلك أبلغه بتهديد شاه أرمين، وفارقه غضبان ورفض أن يقبل من صلاح الدين خلعة أو صلة، وعاد إلى صاحبه وأخبره بما جرى^١.

وفي سنة ٥٨٣هـ وصلت إلى صلاح الدين سفارة من بغداد حيث مقر الخليفة العباسي، قام بهذه السفارة تاج الدين أبو بكر أخو العماد الكاتب، فقابلته صلاح الدين وأكرمه. وكان تاج الدين يحمل معه من الخليفة ببغداد رسالة تنكرة مشحونة بالعتاب على صلاح الدين من أجل أنه بعث رسولاً برسالة إلى الخليفة ببغداد، وكان هذا الرسول "صبيّاً لا يؤبه إليه". فشق ذلك على الخليفة وقال: "ما كان عنده غير هذا؟". ولم يستقبله الاستقبال اللازم، وقصر في حق هذا الرسول. فلما عاد الرسول إلى صلاح الدين قال له عن موقف الخليفة معه: "ما التفت علي".^٢

وإذا كنا نكرنا هذه الواقعة فهي تؤكد ما سبق أن ذكرنا من أن للرسول يجب أن تتوفر فيه شروط معينة تجعله مقبولاً لدى الجهة المبعوث إليها. لذلك في سنة ٥٨٥هـ عندما أراد صلاح الدين في سنة ٥٨٥هـ أن يبلغ الخليفة الناصر لدين الله العباسي بالأخبار التي وصلت إليه عن خروج ملك الألمان إلى القسطنطينية في أعداد كبيرة قاصداً البلاد الإسلامية، تخير صلاح الدين شخصية من الشخصيات البارزة ذات المكانة الرفيعة في البلاط الأيوبي لتقوم بهذه المهمة، وحتى تلقى قبولاً لدى الخليفة، وهي شخصية قاضي القضاة بهاء الدين أبي المحاسن يوسف بن رافع بن تميم (ابن شداد). وأمره بعد أن يقابل للخليفة أن يتوجه إلى صاحب سنجار وصاحب الجزيرة وصاحب الموصل وصاحب

١. الكامل، ج ١٠، ص ١١٦-١١٧؛ العيني: عقد الجمان، ج ١، ص ٣٢٢.

٢. انظر: مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢٥٦؛ عقد الجمان، ج ٢، ص ٨٣-٨٥.

إربل يستدعيهم إلى الجهاد بأنفسهم وعساكرهم. فأدى ابن شداد مهمته وعاد إلى السلطان صلاح الدين^١. ومما يؤكد الحرص على شخصية الرسول المبعوث بالسفارة حتى تكون له هيبة ووقع حسن لدى المبعوث إليهم؛ ما ورد في أحداث إربل "يستدعيهم إلى الجهاد بأنفسهم وعساكرهم". فأدى ابن شداد مهمته وعاد إلى السلطان صلاح

ومما يؤكد الحرص على شخصية الرسول المبعوث بالسفارة حتى تكون له هيبة ووقع حسن لدى المبعوث إليهم؛ ما ورد في أحداث سنة ٥٨٥هـ عندما أرسل سلطان العجم طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمد ملكشاه رسولاً إلى صلاح الدين، وهذا الرسول أمير من خواص سلطان العجم، أرسله برسالة يستجد به ضد عمه - مظفر الدين قزل أرسلان - الذي استولى على ممالكه. فقام صلاح الدين باستقبال هذا الرسول، وضرب له من الخيم الخاصة سرائق، وقُدِّمَتْ إليه الضيافات. وبعد معرفة صلاح الدين بمضمون الرسالة، ولانشغال صلاح الدين بأمور الجهاد ضد الصليبيين، اعتذر، وأرسل إلى صاحب إربل وإلى بعض أمراء الأطراف لمساعدة سلطان العجم ومناصرته. أما من جهته فقد "ندب كبيراً للسفارة بينه وبين مظفر الدين قزل أرسلان"، وكان هذا السفير جمال الدين أبا الفتح إسماعيل بن محمد بن عبد كوية. وأخذ هذا السفير يسعى في الصلح بينهما. وكان من نتيجة سعي هذا السفير أن سهل الأمر فيما بينهما، وكاد الصلح أن ينتظم، وعلى ذلك قام السلطان طغرل بالتوجه إلى عمه قزل

١. ابن شداد: النوازل السلطانية، ص ١١٥، للروضتين، ج ٢، ص ١٠٥، العماد للكاتب:

الفتح القسى، ص ٣٣٢ - ٣٣٧، نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٢١، عقد الجمان، ج ٢، ص ١٢٩.

بهذه من غير استيثاق بعهد، محاولاً إخماد نار الفتنة. فلما وصل إلى عمه قزل، لعب الشيطان برأسه، فقبض عليه واعتقله، واستبد قزل بأمر الملك.^١ وفي العام نفسه - ٥٨٥هـ - وصلت إلى صلاح الدين سفارة من الخليفة العباسي بهدف إعلام صلاح الدين بولاية العهد إلى عدة السنين الملقب بالظاهر، ابن الخليفة الناصر لدين الله، فاستقبل صلاح الدين هؤلاء الرسل استقبالاً حافلاً، وأمر خطيب الجامع الأموي بدمشق أن يخطب لولى العهد - عدة الدين - بعد الخليفة الناصر لدين الله. فتم ذلك في خطبة الجمعة ثالث صفر، ونثر عليه الدنانير والدرهم.

ولما حان وقت عودة الرسل إلى بغداد، جهز صلاح الدين تحفاً عظيمةً وهدايا منية وأرسلها للخليفة العباسي صحبة هؤلاء الرسل، وكذلك أرسل بعض أساري للفرنج بملابسهم وهيتهم في حال حربهم، كما أرسل معهم بصليب للصليبيون.^٢

ومن السفارات الهامة في عصر صلاح الدين الأيوبي، تلك السفارة التي حدثت سنة ٥٨٦هـ والتي وصلت إلى صلاح الدين من الخليفة العباسي الناصر لدين الله من بغداد. وكان القائم بأمر هذه السفارة الشريف فخر الدين نقيب مشهد

١. العماد الكاتب: الفتح القسي، ص ٣٥٤ - ٣٥٥؛ عقد الجمان، ج ٢، ص ١٣١.

٢. الكامل، ج ١٠، ص ١٨٩؛ البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٥٤.

وصليب للصليبيون: هو الصليب الأعظم عند الصليبيين، وهو الذي يزعمون أنه هو الذي صلب عليه المصلوب، وقد غلفوه بالذهب ورصعوه باللآلئ والجواهر النفيسة والياقوت. الكامل، ج ١٠، ص ١٤٧ - ١٤٨؛ مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢٥١؛ الروضتين، ج ٢ ق ١، ص ٢٥٨.

باب التين ببغداد، وذلك ردًا على رسالة صلاح الدين التي بعثها إلى بغداد مع ضياء الدين الشهرزوري في شهر صفر عام ٥٨٥هـ.^١

وأرسل الخليفة مع هذا الرسول "أحمالاً من النفط والرماح الخطية ومعه نفاطة متقنون لهذه الصناعة غاية الإتقان، ومرسوم بعشرين ألف دينار، وذلك في رقعة من الديوان العزيز يتضمن الإنن للسلطان صلاح الدين في أن يقتض عشرين ألف دينار ينفقها في الجهاد، ويحول بها على الديوان العزيز".^٢

فقبل صلاح الدين جميع ما وصل إليه مع الرسول، وردّ الرقعة ورفض أخذها. وقال: "أنا في يوم واحد أخرج مثل هذا وأضعافه وما أنا مضرور". وقال أيضاً: "يرحم الله العاضد، وصل إليّ منه في عشرين يوماً بمقام الفرنج على دمياط، ألف ألف دينار ومثلها عروض".^٣

وشهد عصر صلاح الدين أيضاً عدة سفارات متبادلة بين صلاح الدين وأخيه الملك العادل وبين الملك ريتشارد ملك إنجلترا أثناء وجوده ببلاد الشام مع الحملات الصليبية.

ومن هذه السفارات سفارة أرسلها الملك ريتشارد كانت تحمل هدية للعادل، وذلك ردًا على الهدية التي أرسلها العادل للملك ريتشارد. وكانت هذه السفارة في عام ٥٨٧هـ، أما عن هدية ريتشارد للعادل فكانت حصاناً.^٤

وفي السنة نفسها — ٥٨٧هـ — أرسل الملك ريتشارد رسولاً إلى العادل يعرض زواج العادل من أخته، أرملة صاحب صقلية، ويعرض أن يكون

١. عقد الجمان، ج ٢، ص ١٣٠، ص ١٣٩.

٢. نفس المصدر: ج ٢ ص ١٣٩.

٣. مرآة الزمان، ج ٨، ص ٢٥٧؛ عقد الجمان، ج ٢، ص ١٤٠.

٤. ابن شداد: النوادر السلطانية، ص ١٩٣؛ عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٠٨.

مستقرها بالقنس إذا تزوجت بالعاذل، وأن أخاها الملك ريتشارد يعطيها بلاد الساحل التي في يده من عكا إلى يافا وعسقلان وغيرها، ويجعلها ملكة الساحل. وأن السلطان صلاح الدين يعطي أخاه الملك العادل جميع ما في يده من بلاد الساحل، ويجعله ملك الساحل، وأن يكون ذلك مضافاً إلى ما في يد العادل من البلاد والإقطاعات. وفي هذه السفارة أيضاً يطلب الملك ريتشارد أن يُسَلَّم إليهم صليب الصليبوت، ويطلب تبادل الأسرى بين المسلمين والفرنج. ويعرض أنه إذا استقر الصلح على هذا الوضع فإنه سوف يرحل إلى بلاده في البحر وينتهي أمر الحرب.^١

ولما عُرِضَ أمر هذه السفارة وما أُتت منه من أفكار على صلاح الدين، فهم أن هذا كله ما هو إلا مكر وهزو من الملك ريتشارد وأشاع صلاح الدين أنه قَبِلَ بهذه للقاعدة التي عرضها الملك الإنجليزي، وأعَمَّ العادل بذلك.

وبعد أيام توجه رسول من جانب العادل والسلطان صلاح الدين إلى الملك ريتشارد، وكان هذا الرسول ابن النّحال. ولما وصل ابن النّحال إلى الملك ريتشارد قال له الملك أنه عندما أبلغ أخته الملكة بموضوع زواجها من الملك للعادل، سخطت وغضبت من ذلك، ورفضت ذلك الأمر بشدة وحلفت أنه لن يحدث أبداً. وأبلغ الملك ريتشارد الرسول قائلاً: "إن كان الملك العادل يتصرّ فأنا أتم ذلك". وعاد ابن النّحال بذلك وأخبر الملك العادل وصلاح الدين به. وهكذا تحققت مقالة السلطان في مكر ودهاء الملك ريتشارد.^٢

١. النواحر السلطانية، ص ١٩٥؛ عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٠٩.

٢. نفس المصدر، ص ١٩٦؛ عقد الجمان، ج ٢، ص ٢١٠، ٢١٤.

ومع ذلك استمرت الرسل تتواصل في تقرير قواعد الصلح بينهما، وكانت آخر رسالة بعث بها الملك ريتشارد إلى الملك العادل ذكر فيها: "أن معاشر دين النصرانية أنكروا عليّ كون أختي تحت مسلم بدون مشاورة الباب، وهو كبير دين النصرانية ومقدمه، وها أنا أسيرُ إليه رسولاً يعود في ستة أشهر، فإن أذن في ذلك فيها ونعمت، وإلا زوجتك ابنة أختي، وما احتاج في ذلك إلى إذن الباب"^١.

وفي عام ٥٨٨هـ استمرت السفارات تردُّ إلى صلاح الدين من الملك ريتشارد تطلب الصلح، وأن تتوقف الحرب بينهم لمدة ثلاث سنين وستة أشهر، على أن يعيد صلاح الدين عسقلان إلى الفرنج، وأن يهب للملك ريتشارد كنيسة القيامة، وهي أكبر كنائس القدس، وأن يُمكن النصارى والحجاج الذين يقصدونها للزيارة والحج بنون دفع أموال للمسلمين. فامتنع صلاح الدين من إعادة مدينة عسقلان إليهم، وسمح لهم بزيارة كنيسة القيامة ولكن بعد أن فرض على الزوار مالا يؤخذ من كل منهم.

ورفض الملك ريتشارد ذلك وصمم على أن تعاد إليهم عسقلان وأن يُعمر سورها كما كان. وصمم السلطان صلاح الدين على عدم إجابة هذا المطلب لهم.^٢

^١ النواذر السلطانية، ص ٢٠٣؛ عقد الجمان، ج ٢، ص ٢١٤.

^٢ الكامل، ج ١٢، ص ٤٠ - ٤١؛ البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٤٩ - ٣٥٠؛ مفرج الكروب، ج ٢، ص ٣٩٢ - ٣٩٣؛ عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٣٨.

وفي العام نفسه ٥٨٨هـ - وصل رسول من الكندھري^١ إلى صلاح الدين ونكر له أن الملك ريتشارد قد أعطاه البلاد الساحلية. وقال له: "وهي الآن لي قاعدة على بلادي حتى أصالحك، وأكون أحد أولادك". فغضب السلطان لذلك غضباً شديداً، لدرجة أنه أراد أن يبطش بالرسول الذي حمل إليه هذه الرسالة، ويخالف القواعد المتبعة في استقبال الرسل وتأمينهم. لذلك أسرع أصحاب صلاح الدين في إبعاد الرسول من المجلس. وبعد عدة أيام طلب السلطان صلاح الدين إحضار هذا الرسول أمامه. ولمّا حضر أبلغه أن الحديث بينه وبين الكندھري يكون في صور ~~وهنا~~ على ما كان مع الماركيس^٢.

ومن السفارات اللطيفة التي حدثت في عام ٥٨٨هـ تلك التي ~~ورثت~~ من جهة الملك ريتشارد إلى السلطان صلاح الدين في أثناء القتال حول يافا، فقد مرض ريتشارد مرضاً شديداً، فأرسل ثلاثة رسل يطلبون من صلاح الدين فاكهة وتلجأ، وأبلغوه بمرض الملك. فاستقبلهم السلطان وأكرمهم. ونكر ابن شداد أن صلاح الدين سمح لهؤلاء الرسل بأن يدخلوا سوق العسكر وأن يتفرجوا فيه.

واعتقد أن صلاح الدين كان يهدف من وراء السماح لهؤلاء الرسل بالتوغل في سوق العسكر بأن يحطم الروح المعنوية للإفرنج، فهؤلاء الرسل

١. لما قُتل الماركيس صاحب صور سنة ٥٨٨هـ استتاب الملك ريتشارد على صور ابن أخته الكندھري. ولمزيد من التفاصيل انظر: الفتح القمسي، ص ٥٨٩ - ٥٩٠؛ النواذر السلطانية، ص ٢٨٠؛ البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٧٢؛ مفرج الكروب، ج ٢، ص ٣٨٢.
٢. النواذر السلطانية، ص ٢١٨.

حين يعودون إلى الملك ريتشارد سوف يحدثونه عما رأوه في معسكر صلاح الدين وجنوده واستعدادهم . وهذا بالتالي سوف يؤثر في جيش العدو.^١ على أية حال، لبي صلاح الدين طلب الملك ريتشارد وأمدّه بالفاكهة والتلج الذي طلبه مع الرسل وذلك "فتوة وكرماً"^٢ من صلاح الدين. وعادت الرسل تلك الليلة إلى معسكرهم.

واستمرت الرسل تتتابع في الوصول إلى صلاح الدين من جهة الملك ريتشارد تطلب الصلح. وفي يوم الأربعاء السادس عشر من رجب من هذه السنة - ٥٨٨هـ - أرسل الإفرنج رسولين إلى صلاح الدين أحدهما نصراني والآخر إفرنجي يطلبان الصلح، وذلك حتى يأمنوا قتال المسلمين وتهدأ الأمور حتى تصلهم نجدة لينتقوا بها أمام المسلمين، أو يقبلوا الصلح. والحقيقة أن الهدف من إرسال الرسولين كان لطلب الأمان. وبالفعل وصلت النجدة التي كان الإفرنج ينتظرونها من البحر.^٣

فاندفع الملك ريتشارد يطلب الساحل وقد نزل معه الجند الذين وصلوا لنجدة الفرنج من البحر. وقد حدثت هذه الأمور والرسولان ما زالا عند السلطان صلاح الدين. وكاد السلطان أن يكتب لهما الأمان. فحضر القاضي بهاء الدين ابن شداد وأخبره بما جرى. فأمتنع السلطان من كتابة الأمان للرسولين، وقبض عليهما.

١. البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣٥٠.

٢. عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٤٠.

٣ النوار السلطانية، ص ٢٢٥؛ عقد الجمان؛ مفرج الكروب، ج ٢، ص ٣٩٥؛ عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٤١-٢٤٢.

وفي تلك الأثناء خرج الملك ريتشارد متوجهاً إلى حيث موضع السلطان، وطلب الحاجب أبا بكر العادلي وقال له: "يا الله عليك سلم على السلطان وقل له يجب إلى صلحي، فهذا أمر لا بد له في الأخير، وقد هلكت بلادني وراء البحر، وما دوام هذا مصلحة لا لنا ولا لكم".^١

وهكذا كان من نتيجة جهود هؤلاء الرسل أن تم صلح الرملة، وعقبت الهدنة بين الفرنج والمسلمين لمدة ثلاث سنين وثلاثة أشهر، تبدأ من الحادي والعشرين من شعبان سنة ٥٨٨هـ.^٢

وبعد أشهر قليلة من توقيع هذا الصلح، مرض صلاح الدين واشتد مرضه حتى توفي في السابع والعشرين من صفر من سنة ٥٨٩هـ.^٣

الخاتمة

وبعد استعراضنا للسفارات المتبادلة في عصر صلاح الدين الأيوبي نستخلص بعض الملاحظات الهامة، وفي مقدمتها أن السفارات في ذلك العصر كانت في معظمها سفارات لأغراض عسكرية أو تخدم أغراضاً سياسية، وإلى جانب ذلك كانت هناك السفارات التي تحمل طابع المجاملات، كالتهنئة بولاية العهد، والتهنئة بتولي الحكم، وإرسال الهدايا، والتعزية في وفاة سلطان أو خليفة. ثم إن السفير أو الرسول لم يكن يتقلد هذا المنصب ويتفرغ له بوصفه وظيفته الوحيدة كما هو الشأن في عصرنا، لكنه كان يُختار من مختلف الوظائف

١. النواذر السلطانية، ص ٢٢٨؛ عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٤٢.

٢. لمزيد من التفاصيل عن الصلح والهدنة انظر: النواذر السلطانية، ص ٢٣٤ - ٢٣٦؛ للفتح القسي، ص ٦٠٣ - ٦٠٥؛ مفرج الكروب، ج ٢، ص ٤٠٢ - ٤٠٦؛ للنويري: نهاية الأرب، ج ٢٨، ص ٤٣٦.

٣. راجع عقد الجمان، ج ٢، ص ٢٧٠ - ٢٧٥.

للقيام بالسفارة إلى جانب عمله أو وظيفته الأساسية. فقد وجدنا الفقيه عيسى الهكاري يقوم بالسفارة بناءً على أوامر صلاح الدين، كذلك القاضي ضياء الدين الشهرزوري، صدر له مرسوم سلطاني بذلك من صلاح الدين، وكانت وظيفة مقررة^١، وذلك بعد وفاة شمس الدين ابن الوزير أبي المضاء خطيب الديار المصرية سنة ٥٧٢هـ.

وكان ابن أبي المضاء قد حظى عند السلطان صلاح الدين حتى جعله سفيراً بينه وبين الملوك والخلفاء. فلما توفي حل محله ضياء الدين الشهرزوري. والملاحظ أن الرسول المكلف بالسفارة كانت مهمته تنتهي فور عودته إلى وطنه، فيعاود القيام بعمله الذي كان يقوم به قبل توجهه بالسفارة. وأن السفير يجب أن يكون على قدر كبير من الذكاء والفطنة وحسن التصرف لأن أي خطأ يرتكبه لن يستطيع علاجه دون آثار. وربما يكون الخطأ فادحاً مما قد يؤدي إلى اندلاع الحرب على أثره. لذلك كان لابد من توافر مميزات وصفات أخلاقية وثقافية في الرسول كي تفيده في أداء المهمة التي يكلف بها مرسله.

وننتهي من هذه الملاحظات إلى أن نجاح السفارة في مهمتها كان يتوقف على اختيار السفير أو الرسول الذي يقوم بها. ويتوقف على شخصية هذا السفير وسرعة رد فعله في المواقف المفاجئة. فأحياناً تستدعي المواقف تصرفه في الحال دون انتظار الرجوع إلى مرسله، لذلك كان لابد من التدقيق في اختيار الرسول أو السفير لصعوبة مهمته.

١. الروضتين، ج ٢، ص ٤٩٢-٤٩٦، البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٣١٧، عقد الجمان، ج ١، ص ٢٥٥

مصادر ومراجع البحث

أولاً: المصادر:

أ-المخطوطات:

١. الخالدي: المقصد الرفيع للمنشا الهادي إلى صناعة الإنشا مخطوط

مصور بجامعة القاهرة رقم ٢٤٠٤٥.

٢. الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد (ت. ٥٠٥هـ / ١١١١م).

- التبر المسبوك في نصيحة الملوك. مخطوط مصور بجامعة القاهرة

رقم ٢٦٣٦١

ب- المصادر العربية المحققة والمنشورة:

١. ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد (ت. ٦٣٠هـ / ١٢٢٢م)

أ-التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية. تحقيق: عبدالقادر طليمات.

القاهرة ١٩٦٣م.

ب-الكامل في التاريخ. بيروت ١٩٨٧.

٢. ابن خلكان: أحمد بن إبراهيم (ت. ٦٨١هـ / ١٢٨٢م).

- وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان. تحقيق: إحسان عباس. دار

صادر - بيروت ١٩٧٨م

٣. ابن شداد: بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم (ت. ٦٣٢هـ / ١٢٣٤م)

- النواير السلطانية والمحاسن اليوسفية. تحقيق: جمال الدين الشعال.

القاهرة ١٩٦٤م.

٤. ابن طباطبا: محمد بن علي المعروف بابن الطقطقي

(ت. ٧٠٩/١٣٠٩م)

- الفخرى في الآداب السلطانية والدول الإسلامية. غمريفرولد ١٨٥٨م

٥. ابن عبدالحق: صفى الدين عبد المؤمن بن عبد الحق
(ت. ٧٣٩هـ / ١٣٣٨م)

- مرصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع. تحقيق محمد على البجاوى.
بيروت ١٩٥٤م

٦. ابن الفراء: أبو على الحسين بن محمد (ت. ٥١٦هـ / ١١٢٢م).

- رسل الملوك ومن يصلح للرسالة والسفارة. القاهرة ١٩٤٧م

٧. ابن كثير: إسماعيل بن عمر (ت. ٧٧٤هـ / ١٣٧٢م)

- البداية والنهاية. تحقيق: أحمد بن ملح وآخرين. بيروت ١٩٨٧م.

٨. ابن واصل: جمال الدين محمد بن سالم (ت. ٦٩٧هـ / ١٢٩٨م)

- مفرج الكروب في أخبار بني أيوب. تحقيق: جمال الدين الشيال. القاهرة
١٩٥٧م

٩. أبو شامة: عبدالرحمن بن إسماعيل بن إبراهيم بن عثمان
(ت. ٦٦٥هـ / ١٢٦٧م)

- الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية. تحقيق: محمد حلمى
محمد أحمد. القاهرة ١٩٦٢م

١٠. الأنصارى: عمر بن إبراهيم الأوسى الأنصارى (ت. ٨١٤هـ / ١٤١١م).

- تفريج الكروب في تنبير الحروب. نشر وتحقيق: جورج سكاتلون.
القاهرة ١٩٦١م

١١. البندارى: الفتح بن على البندارى (فن مؤرخي القرن ٧هـ / ١٣م).

- سنا البرق الشامى. تحقيق: فتحية النبراوى. القاهرة ١٩٧٩م.

١٢. الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت. ٢٥٥هـ / ٨٦٨م).

- التاج في أخلاق الملوك. تحقيق أحمد زكى باشا. القاهرة ١٩١٤م.

١٣. الحسن بن عبد الله (توفي في منتصف القرن ٨ هـ / ١٤ م).
- آثار الأول في ترتيب الدول. القاهرة ١٢٩٥ هـ.
١٤. الزبيدي: محمد مرتضى الحسيني (ت. ١٢٠٥ هـ / ١٧٩١ م).
- تاج العروس في جواهر القاموس. القاهرة ١٨٨٩ م.
١٥. سبط ابن الجوزي: يوسف بن قزأوغلي (ت. ٦٥٤ هـ / ١٢٥٧ م).
- مرآة الزمان (للجزء الثامن). شيكاغو ١٩٠٧ م.
١٦. السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر (ت. ٩١١ هـ / ١٥٠٥ م).
- كتاب تحفة المجالس ونزهة المجالس. تصحيح: محمد بدر الدين التعماني الحلبي. القاهرة ١٩٠٨ م.
١٧. العماد للكاتب: أبو عبد الله محمد بن أبي الرجاء (ت. ٥٩٧ هـ / ١٢٠١ م).
- الفتح القسي في الفتح القنسي. تحقيق: محمد محمود صبيح. القاهرة: د. ت
١٨. العيني: بدر الدين محمود العيني (ت. ٨٥٥ هـ / ١٤٥١ م).
- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان (العصر الأيوبي). تحقيق: محمود رزق محمود. القاهرة ٢٠٠٢-٢٠٠٣ م.
١٩. القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت. ٨٢١ هـ / ١٤١٨ م).
- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء. القاهرة ١٩٦٣ م.
٢٠. المقرئ: تقي الدين أحمد بن علي (ت. ٨٤٥ هـ / ١٤٤٢ م).
- السلوك لمعرفة دول الملوك. تحقيق: محمد مصطفى زيادة. القاهرة ١٩٣٤.
٢١. النويري: شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب (ت. ٧٣٢ هـ / ١٣٣٧ م).
- نهاية الأرب في فنون الأدب. ط. دار الكتب المصرية، القاهرة.

٢٢. ياقوت الحموي: أبو عبد الله الحموي الرومي البغدادي

(ت. ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م)

- معجم البلدان. ط. طهران ١٩٦٥م، ط. دار صادر بيروت ١٩٨٦م.

ثانياً: المراجع العربية والمعرية:

١. البقلى: محمد قنديل البقلى

- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى. القاهرة ١٩٨٤م.

٢. زيترشتين:

- تاريخ سلاطين المماليك. لينن ١٩١٩م.

٣. ماير، ل. أ:

- الملابس المملوكية. ترجمة: صالح الشيتى. القاهرة ١٩٧٢م.

٤. محمد رمزي:

- القاموس الجغرافي للبلاد المصرية. ط. الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة ١٩٩٤م.

٥. مصطفى مسعد:

- الإسلام والنوبة في العصور الوسطى،

القاهرة ١٩٦٠م.

ثالثاً: المراجع الأجنبية:

- Dozy (R.) Supplément aux Dictionnaires Arabes

Paris, 1927

